وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الْكَهْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾
قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ وأنزلنا إليك القرآن العظيم، مقروناً بالحق، في أحكامه، وقصصه، وأخباره ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ نزّلناه مفرّقاً آيات آيات، وسوراً سوراً ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ لتقرأه على ترسُّل وتمهُّل، ليكون حفظه أسهل، والعمل بأحكامه أيسر ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ شيئاً بعد شيء، على مقتضى المصالح والحكم

﴿ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ الخطاب للمشركين، والمراد إيمانكم بالقرآن لا يزيده كمالاً، وتكذيبكم له لا ينقصه ﴿أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾ نادوا ربكم باسم «الله» أو باسم «الرحمن» فأي اسم دعوتموه فهو حسن!! كان الكفار يقولون: انظروا إلى محمد ينهانا أن ندعو إلهين، وهو يدعو إلهين: الرحمن، والرحيم!! ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ لا تجهر بقراءة القرآن في صلاتك ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ ولا تُسرّ بها بحيث لا يسمعك أصحابك ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ طريقاً وسطاً بين الجهر والمخافتة، نزلت ورسول الله مختفٍ بمكة، فكان إذا صلى رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبُّوا القرآن ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أخرجه البخاري ومسلم.

سورة الكهف

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ لا اعوجاج فيه ولا زيغ ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيماً لا عوج فيه ولا تناقض ﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾ يُحذّر الكافرين من عذاب أليم ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بجنات النعيم ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ الجنة دار السعادة والنعيم ﴿مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ مقيمين في ذلك النعيم على وجه الدوام.. وفي الحديث الشريف: «**من حفظ عشر آياتٍ من أول سورة الكهف، عُصِم من الدجال**» أخرجه مسلم.

سورة الكهف

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى
ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ
أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ أي ما أفظع تلك الكلمة الشنيعة في قبحها وبشاعتها!! ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾ ما يقولون إلا كذباً وزوراً ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتلٌ نفسك ومهلكها ﴿أَسَفًا﴾ حسرة وأسفاً عليهم لعدم إيمانهم بالقرآن ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ لنختبر الخلق أيهم أطوع لله، وأسرع لمرضاته ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ سنجعل زينة الدنيا رُكاماً كالأرض الجرداء، لا نبات فيها ولا زرع، بعد أن كانت خضراء تسر النفس ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ هل تظن أن قصة أصحاب الكهف هي أعجب آيات الله؟ ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ اللوح الذي سُجِّل فيه أسماؤهم ﴿أَوَى ٱلْفِتْيَةُ﴾ التجأ الشباب إلى الغار هرباً بدينهم ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ ألقينا عليهم النوم ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أيقظناهم من بعد نومهم الطويل ﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ أيُّ الفريقين أدقُّ للمدة التي ناموها ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قوّينا قلوبهم أمام الملك الجبار ليثبتوا على الحق ﴿شَطَطًا﴾ قولاً مفرطاً في الضلال والكذب.

وصفهم تعالى بثلاث صفات: (الفتوّة، والإيمان، والوقوف أمام الطغيان) ﴿بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ هلّا جاءوا على صحة ألوهية الأوثان بحجة ظاهرة؟ إذاً لم يأتوا فهم إذاً كذبةٌ على الله ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ لا أحد أظلم ممن كذب على الله، فجعل له شركاء وأنداداً!! والآية توبيخ وتبكيتٌ لمن اعتقد بألوهية غير الله تعالى، والغرضُ أن هؤلاء المشركين، عبدوا الأصنامَ والأوثانَ، من دون حجةٍ ولا برهان، فهم سفهاء فَجرة.!

﴿اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ الخطابُ للفتية أي فارقتم قومكم الضالين وما يعبدونه من الأوثان ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ التجئوا إلى الكهف ﴿يَنْشُرْ﴾ يبسط ربكم عليكم رحمته ﴿مِرْفَقًا﴾ ويسهّل لكم أبواب الرزق من طعام وشراب ﴿تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ تميل الشمس جهة اليمين عند طلوعها وتتنحّى عنهم ﴿تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ وإذا كانت الشمس جهة الغرب تقطعهم وتبتعد عنهم جهة الشمال ﴿فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ في متّسع من الكهف، والغرضُ أن الشمس لا تصيبهم لا في طلوعها ولا في غروبها، كرامة من الله لهم ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ من دلائل قدرته الباهرة ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ تظنهم مستيقظين لتفتُّح عيونهم وهم نيام ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ نجعلهم يتقلّبون من جانب إلى جانب، ولو أنهم لا يُقلّبون لأكلتهم الأرض ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ وكلبهم باسط يديه بفناء الكهف كأنه يحرسهم، والوصيدُ: عتبةُ فناء الدار ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم من نومهم بعد تلك الرقدة الطويلة ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ أرسلوا واحداً منكم إلى المدينة بالنقود الفضيّة ليشتري لنا الطعام ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ وليكن في دخوله وعودته حَذِراً، حتى لا يشعر بأمرنا أحد ﴿يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ إن يظفروا بكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ يرموكم بالحجارة حتى يقتلوكم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ يردُّوكم إلى دينهم الباطل بالإكراه ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ إن عدتم إلى دينهم، فلن تفوزوا بخيرٍ أبداً.. وهكذا يتناجى الفتيةُ بينهم، خائفين حذرين، أن يظهر عليهم الملكُ الجبّارُ، وزبانيتُه الفُجّار، فيقتلونهم أو يردُّونهم إلى عبادة الأوثان والأحجار!

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟
ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا
بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا
وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ
إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا
﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ
فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أطلعنا الناسَ عليهم ليستدلوا على صحة البعث ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ ويوقنوا أن القيامة لا شكَّ فيها ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ﴾ حين اختلفوا في ما يصنعونه بأهل الكهف ﴿بُنْيَانًا﴾ ابنوا بناءً على كهفهم ليكون ذلك علامة على مكانهم ﴿غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ قالت الأكثرية الغالبة: لنتخذنَّ على باب كهفهم مسجداً نصلّي ونعبد الله فيه ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ قذفاً بالظن من غير يقين ﴿أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ الله أعلم بمقدار عددهم هل هم خمسة أم سبعة؟ أم أقل أم أكثر؟ ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ فلا تجادل أهل الكتاب في أمرهم وعددهم، إلا جدال متيقّن عالم بحقيقة الخبر ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ﴾ لا تسأل أحداً عن قصتهم، ففي ما أوحاه الله إليك ما يُغنيك عن سؤال من لا علم له ﴿رَشَدًا﴾ ما يرشدني إلى طريق الخير والسعادة ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ مكثوا نياماً في الكهف مدة ثلاثمائة سنة شمسية، وزيادة التسع جاءت من الفارق بين السنة الشمسية والسنة القمرية ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ﴾ علم الغيب خاصٌّ به سبحانه دون غيره من الخلق ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ صيغتا تعجُّب بأسلوب المبالغة أي ما أبصره بكل موجود!! وما أسمعه بكل مسموع!! علمُه سبحانه خارج عمّا عليه إدراك البشر ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا يقدر أحد أن يبدّل كلام العزيز العليم. ﴿مُلْتَحَدًا﴾ ملجأً لك غير الله.

سبب النزول: روي أن النبي ﷺ، لمّا سُئل عن قصة (أصحاب الكهف) قال: غداً أجيبكم! فتأخّر الوحيُ عنه خمسةَ عشرَ يوماً، فنزلت ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أخرجه الطبراني وابنُ أبي حاتم، وانظر تفسير ابن كثير

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۙ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ۚ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ احبس نفسك مع الفقراء والضعفاء، ففيهم الخير والمسارعة لقبول الدعوة ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ لا تصرف بصرك إلى غيرهم من أهل الغنى والشرف ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ لا تطع كلام الأشراف الذين سألوك طرد المؤمنين، فقلوبهم غافلة عن ذكر الله ﴿فُرُطًا﴾ ضياعاً ودماراً ﴿وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ظاهره تخيير وحقيقته إنذار وتهديد ﴿أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ سورها كإحاطة السوار بالمعصم ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ شديد الحرارة كالنحاس المذاب ﴿مُرْتَفَقًا﴾ ساءت النار مسكناً للفجار ﴿سُندُسٍ﴾ رقيق الحرير ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ الديباج ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ السرر الذهبية المكلّلة بالدر والياقوت ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ أحطنا الحديقتين بشجر النخيل ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ أخرجت ثمرها، في غاية الجودة والحسن ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ لم تنقص من ثمراتها شيئاً ﴿يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يخاصمه ويجادله، ويفخر عليه بالغنى والمال.

سبب النزول: رُوي أن أشراف قريش، اجتمعوا عند رسول الله ﷺ وقالوا له: إن أردت يا محمد أن نؤمن بك ونسمع كلامك، فاطردْ هؤلاء الفقراء من مجلسك، فإنَّا أشرافُ قريش وسادتُها، إن أسلمنا أسلم الناسُ، ونحن نأنَفُ أن نجلس مع هؤلاءِ الفقراء الصَّعاليك!! فهمَّ رسولُ الله ﷺ أن يجيبهم إلى ما طلبوا، حرصاً منه على إسلامهم، فنزلت ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية، فخرج ﷺ يلتمسُ الفقراءَ، فلما رآهم جلس معهم، وقال: «**الحمدُ لله الذي جعلَ في أمتي من أمرني ربي أن أصبر نفسي معهم**» رواه مسلم.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالعُجب والكفر ﴿تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ﴾ ما أعتقد أن تنعدم هذه الحديقة وما فيها من خيرات وثمار ﴿ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ وما أعتقد مجيء القيامة ﴿رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ ولئن كان هناك آخرة - على الفرض والتقدير - فسوف يعطيني الله خيراً منها وأفضل ﴿مُّنقَلَبًا﴾ مرجعاً وعاقبة ﴿يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يجادله ويراجعه ﴿أَكَفَرْتَ﴾ أجحدت ربك الذي أوجدك من العدم؟ ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ لكنْ أنا مؤمن بربي الذي خلقني ﴿حُسْبَانًا﴾ يرسل على حديقتك صاعقة تخرّبها وتدمّرها ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ فتصبح أرضاً جرداء ملساء، لا نبات فيها ولا ثمر ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ هلكت حديقته وهلك ما فيها من الشجر والثمر ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ يضرب إحدى يديه على الأخرى، أسفاً وحزناً، وندماً على ماله الضائع.. هذا مثلٌ ضربه الله لأخوين ورثا مالاً كثيراً عن أبيهما، أحدهما مؤمن والآخر كافر، اشترى الكافر بماله بستانَيْنِ فيهما من جميع أنواع الفواكه والثمار، وأنفق المؤمن ماله في مرضاة الله، وكانت النتيجة أن أهلك الله مال الكافر، وبارك في مال المؤمن ﴿هَشِيمًا﴾ يابساً متفتّتاً بعد نضارته ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ تطيّره الريح ذات اليمين، وذات الشمال ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ وكان الله قادراً على الإحياء والإفناء، لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.. **قوله تعالى:** ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ..﴾ **قال المفسّرون:** هما أخوان من بني إسرائيل، أحدهما مؤمن، والآخر كافر، ورثا ثمانية آلاف دينار عن أبيهما، فاشترى الكافر بنصيبه ضِيَاعاً وعقاراً، وصرف المؤمنُ نصيبَه في وجوه الخير والإحسان، فآلَ حالُهما إلى ما حكاهُ الله تعالى، تفسير الشوكاني.

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى
ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۖ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟
حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ۖ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ۖ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا
﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَٰقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ﴾ الأموال والأولاد زينة الحياة الفانية ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ وأعمال الخير والإحسان تبقى ذخراً لصاحبها ﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ ننسفها من أماكنها فنجعلها هباءً منبثاً ﴿بَارِزَةً﴾ ظاهرة لا يسترها شيء من شجر ولا بُنيان ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ جمعنا الخلائق لموقف الحساب، فلم نترك أحداً منهم ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ وُضعت صحائف أعمال البشر في أيدي أصحابها ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين مما فيها من الجرائم والذنوب ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾ يا حسرتنا وهلاكنا ﴿لَا يُغَادِرُ﴾ لا يترك ﴿أَحْصَىٰهَا﴾ ضبطها وسجّلها ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ سجود تحية وتكريم ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ هذا برهان قاطع على أن إبليس من الجن وليس من الملائكة ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ نسله وأولاده. وهذا دليل آخر على أن إبليس لم يكن من الملائكة، لأن الملائكة لا ذرية لهم ولا زوجات ﴿عَضُدًا﴾ أعواناً لي في الخلق ﴿مَّوْبِقًا﴾ مهلكاً وهي النار ﴿مُّوَٰقِعُوهَا﴾ داخلوها ﴿مَصْرِفًا﴾ مهرباً منها لأنها أحاطت بهم من كل جانب.

تمثيلٌ بديع: صرب الله مثلاً للحياة الدنيا، في زوالها وفنائها، وسرعة انقضائها، بماء غزير نزل من السماء، فخرج به الزرعُ زاهياً وافياً، واختلط بعضُه ببعض، من كثرته ووفرته، حتى أصبح يُفرحُ القلبَ، ويُبهج النظر، وسرعان ما جاءته ريحٌ عاصفةٌ مدمّرة، فذبُل وتحطّم وتكسّر. هكذا شأن الدنيا نعيمٌ يأتي ثم يزول. ولا يدوم إلّا الحيُّ القيوم.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ
الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا
إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ
وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ
الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم
مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

﴿صَرَّفْنَا﴾ كرَّرنا في هذا القرآن المواعظ بأساليب مختلفة، ونوَّعنا الأمثال ﴿جَدَلًا﴾ وطبيعةُ الإنسان الجدال والمخاصمة بالباطل، لا ينزجر لموعظة ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ إهلاكهم بعذاب الاستئصال إذا لم يؤمنوا ﴿قُبُلًا﴾ يأتيهم العذاب عياناً ومقابلة ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ ليبطلوا ويزيلوا بالجدال الحقَّ الساطع ﴿هُزُوًا﴾ سخريةً واستهزاء ﴿أَكِنَّةً﴾ أغطية كثيرة ﴿وَقْرًا﴾ صمماً يمنعهم من سماع كلام الله، مثَّل تعالى إعراضهم عن الإيمان، بشخصٍ تغطَّى قلبه بحجب كثيفة، تمنع وصول الإيمان والنور إليه، وكان أصمَّ لا يسمع ولا يبصر، فكيف يصل نور القرآن إليه؟ كما قال سبحانه عنهم: ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ ﴿لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ لعذابهم هو يوم القيامة ﴿مَّوْئِلًا﴾ لن يجدوا لهم منه ملجأ ولا منجى ﴿لِمَهْلِكِهِم﴾ لهلاكهم ﴿مَّوْعِدًا﴾ وقتاً معيَّناً لا يتعدَّاه ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا أزال جادًّا في مسيري وسفري ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ حتى أصل إلى ملتقى البحرين ـ ملتقى بحر فارس والروم ـ مهما لاقيتُ من التعب والمشقة ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أو أسير أزماناً طويلة ﴿فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ اتخذ الحوتُ المشويُّ له مسلكاً وطريقاً في البحر.

سببُ هذه الرحلة: رُوي أن (موسى) عليه السلام، قام خطيباً في (بني إسرائيل) فسُئِلَ أيُّ الناس أعلمُ؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه، حين لم يردَّ العلم إلى الله، فأوحى الله إليه، بلى إن لي عبداً بمجمع البحرين، هو أعلم منك!! فقال: وكيف لي به يا رب؟ قال: (تأخذ حوتاً...) إلخ، رواه البخاري، وانظر كامل القصة فيه.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ يوشع بن نون ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ طعام الغداء ﴿نَصَبًا﴾ تعباً وعناءً ﴿إِذْ أَوَيْنَآ﴾ أخبرني حين التجأنا إلى الصخرة، عن الأمر العجيب؟ ﴿نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ نسيتُ أن أخبرك بأمر الحوت ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾ لقد خرج من الزنبيل الذي كان فيه ودخل البحر!! يتعجَّبُ الفتى من أمر الحوت لأنه كان مشويًا!! ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ هذا الذي نطلبه ﴿ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ رجعا من الطريق الذي مشيا فيه يتتبَّعان أثرهما الأول ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾ هو الخضر وجداه عند الصخرة ﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ علمناه علماً خاصاً من جهتنا «علم الغيب» الذي استأثر الله به ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ هل تأذن لي بمرافقتك لأقتبس من علمك؟ ﴿مَعِىَ صَبْرًا﴾ قال له الخضر: لا تستطيع يا موسى أن تصبر على ما ترى مني ﴿خُبْرًا﴾ وكيف تصبر على أمور هي في نظرك منكرة، وأنت لا تعرف حقيقتها؟ ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ أخرقْتَ السفينة لتغرق الركاب ﴿إِمْرًا﴾ أمراً منكراً ﴿شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ منكراً فظيعاً جداً، تقتل غلاماً بدون ذنب فعله؟ وفي رواية البخاري: «أخذ غلاماً ظريفاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين».. شرَط الخضرُ على موسى ـ قبل بدءِ الرحلة ـ أن لا يسأله عن شيء من تصرفاته، حتى يكشف الخضر له سرَّها، ويُطلعه على الحكمة، فقَبِلَ موسى شرطَه، رعايةً منه لأدب التلميذِ مع الأستاذِ، وتبدأ (المفاجأة الأولى) بقلع الخضر للوح من ألواح السفينة، وهي في لُجَّةِ البحر فينكر موسى عليه، وتأتي (المفاجأة الثانية) وهي أخطر وأعظم من الأولى، وهي ذبح الغلام بدون ذنب، ثم (المفاجأة الثالثة) وهي بناء الجدار، وكلها غرائب مدهشة، لا يمكن لموسى السكوت عليها، ثم يكون بينهما الفراقُ، وفي الحديث: «رحم الله أخي موسى، لو صبرَ لقصَّ الله علينا من خبره» يعني الشيء الكثير، رواه الترمذي.

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

الجزء ١٦ الحزب ٣١

﴿أَقُل لَّكَ﴾ لم يصبر موسى على ما رأى، فسارع منكراً عليه فعله، ووصف الخضر بأنه أتى بمنكر فظيع شنيع، لا يمكن السكوت عليه، وقُرِّه في الأول، ثم واجهه في الثانية بقوله ﴿لَّكَ﴾ ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِي﴾ إن اعترضتُ عليك فلا تصحبني معك ﴿عُذْرًا﴾ فأنت معذور عندي حيث خالفتك ثلاث مرات ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ طلبا منهما الطعام كضيافة ﴿فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ امتنعوا عن ضيافتهما ﴿يَنقَضَّ﴾ حائطاً يوشك أن يسقط ﴿أَجْرًا﴾ لو أخذتَ منهم أجراً نستعين به ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ هذا وقتُ الفراق بيننا ثم أخبره عن الأمور التي أنكرها عليه ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾ فقد كان أمام أهلها ملكٌ ظالم جبار، يغتصب كل سفينة صالحة لا عيب فيها ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ فكان كافراً وأبواه مؤمنان، فخشينا أن يحملهما حبُّه على اتباعه ولو عاش هذا الولدُ، لتسبَّب في كفر والديه، وفي الحديث الشريف: «**إن الغلام الذي قتله الخضرُ، طُبع كافراً، ولو عاشَ لأرهق أبويه طُغْياناً وكُفْراً**» رواه مسلم. ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ الذي بنيته فقد كان تحته كنز من ذهب، لغلامين يتيمين، فأراد الله أن يحفظ لهما الكنز، حتى يكبرا ويستخرجاه ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ وما فعلت ذلك إلّا بوحي من الله وإلهام، فهل أحسنتُ أم أسأتُ؟ وهكذا يختم القرآن القصة بقول الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ أي ما فعلتُ هذه الأشياء، من خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار، عن رأيي واجتهادي، وإنما بإلهام الله لي، وهي قصة غريبة عجيبة، فيها من المفاجآت ما يُدْهش العقل، ورحم الله موسى عليه السلام، لو صبر لسمعنا العَجَب العجاب.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ
سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا
لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ
قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا
﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ هو مَلِكٌ مؤمنٌ صالح، رزقه الله العلم والحكمة ﴿مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يسَّرنا له أسباب الجاه والسلطان والقدرة للوصول إلى كل ما يريده ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ سلك طريقاً جهة المغرب ﴿عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ وجد الشمس تغرب في ماء وطين أسود ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ كفاراً لا يؤمنون بالله ﴿نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ خيَّره الله بين أن يعذبهم بالقتل، أو يدعوهم إلى الله بالحسنى ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾ عذاباً منكراً فظيعاً إذا أصرَّ على الكفر ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وأما من آمن فسنكرمه، ويدخله الله جنة النعيم ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ سلك طريقاً يوصله جهة المشرق ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ﴾ وجد الشمس تشرق على أقوام ليس لهم من اللباس ما يسترهم من الشمس، ففعل بهم مثل ما فعل بأهل المغرب، من آمن تركه، ومن كفر قتله ﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ جبلان شاهقان سُدَّ ما بينهما ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ قبيلتان من بني آدم كانوا من أكلة لحوم البشر ﴿خَرْجًا﴾ مبلغاً من المال تستعين به على بناء السدّ؟ ﴿رَدْمًا﴾ سداً منيعاً ﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ قطع الحديد ﴿ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ جانبي الجبلين ﴿قِطْرًا﴾ أصبُّ عليه النحاس المذاب ﴿يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوا عليه ﴿نَقْبًا﴾ اختراقه ونقبه، وبهذا السد أغلق على (يأجوج ومأجوج) الطريق لئلا يفسدوا في الأرض، وأبعدَ شرَّهم عن الناس.

تنبيه: خروجُ (يأجوج ومأجوج) من علامات الساعة الكبرى، فإنهم يخرجون بعد انهدام السدّ، فلا يتركون زرعاً إلَّا أكلوه، ولا ماءً إلَّا شربوه، وفي الحديث: «**ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حَدَب ينسلون، فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها..**» الحديث رواه مسلم.

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي
أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ
أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ
فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ
جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي
لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ قال ذو القرنين: هذا السدُّ نعمةٌ ورحمة من الله على عباده ﴿دَكَّاءَ﴾ فإذا جاء وعد الله بخروج يأجوج ومأجوج جعله مدكوكاً مسوى بالأرض ﴿وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ كائناً لا محالة لأنه من علامات الساعة الكبرى، كما جاء في الأحاديث الصحيحة ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يختلط ويضطرب بعضهم ببعض، كاضطراب أمواج البحر ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ النفخة الثانية نفخة الإحياء ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ فجمعناهم للحساب والجزاء ﴿فِي غِطَاءٍ﴾ كانت أعينهم مغطاة بأغشية كأنها عميٌ، لا يرون دلائل قدرة الله ووحدانيته ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ لا يطيقون سماع كلام الله لظلمة قلوبهم ﴿أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿نُزُلًا﴾ جعلنا جهنم ضيافة لهم، والنُّزُل: أول ما يُقدَّم للضيف، وتسمية جهنم نُزُلاً للسخرية والتهكم ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ بطل عملهم وضاع ﴿وَزْنًا﴾ ليس لهم عند الله قيمة ولا قدر ﴿الْفِرْدَوْسِ﴾ أعلى الجنة ﴿حِوَلًا﴾ تحوُّلاً وانتقالاً ﴿مِدَادًا﴾ هو الحبر الذي يكتب به ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾ لا يراني بعمله يبتغي ثناء الناس، فاللَّهُ لا يقبل إلا ما كان خالصاً له سبحانه وتعالى، وفي الحديث القدسي: «**إن الله تعالى يقول: أنا أغنى الشركاءِ عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري، تركتُه وشركَه**» رواه مسلم.

سبب النزول: روي أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ، فسألوه عن ذي القرنين، امتحاناً له، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن قصة ذي القرنين؟ فأنزل الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ **قال ابن كثير**: والصحيح أن (ذا القَرْنين) لم يكن نبياً، وإنما هو ملكٌ عادل، دعا إلى الله، وكان سائراً بين الناس بالعدل. اهـ.